مجلة المختار للعلوم الإنسانية 39 (3): 636-671، 2021

Research Article Open Access

المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها دراسة تطبيقية على سورة النور

منير محمد علي الطشاني.

قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، كلية التربية، جامعة درنة

Doi: https://doi.org/10.54172/s8bwh738

المستخلص: إنّ القرآن الكريم رسالة الله تعالى إلى الإنسانية كافة، فلا غرو بأنْ يأتي وافياً بجميع مطالب الحياة، ومميّزه عن جميع الكتب الأخرى بأنّه معجز، بنظمه وحروفه وألفاظه. ومن أهم وجوه الإعجاز هو الإعجاز البياني، لأنه عام في القرآن كله لا تخلو منه سورة من سور القرآن الكريم. وجاء هذا البحث ليُبيّن جانبًا من جوانب الإعجاز البياني متمثلاً في علم المناسبات، وسمّيته: "المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها دراسة تطبيقية على سورة النور"، وقد ذكرتُ في مقدمة البحث أهمية الموضوع، وأسباب اختياريه، وحدود البحث، ثم جاء التمهيد وفيه: تعريف الفاصلة، ومدخل إلى سورة النور، ثم جاءتْ المباحث وقد جعلتها تسعة مباحث كما هو موضح في خطة البحث، ثم الخاتمة التي تضمّنتْ أهم النتائج، والله ولي التوفيق.

الكلمات المفتاحية: الاعجاز البياني، علم المناسبات، تعريف الفاصلة

“Al-munasibuh between the Quranic comma and its verses is an applied study on Surat al-Nur.”

Mounir Muhammad Ali Al-Tashani.

Department of Arabic Language and Islamic Studies, Faculty of Education, University of Derna

Abstract: The Glorious Quran is the message of Allah Almighty to all humanity; therefore, it is no wonder that it fulfills all the requirements of creation, and distinguishes it from all other books by saying that it is miraculous, with its frameworks, letters, and expressions. One of the most important aspects of the miracle is the rhetorical miracle because it is general throughout the entire Qur’an, in which no surah of the Holy Qur’an is missing. This research came to show an aspect of the rhetorical miracles represented in the science of Al-munasabat, and its name: “Al-munasibuh between the Quranic comma and its verses is an applied study on Surat al-Nur.” As mentioned in the introduction of the study, the importance of the study, the reasons for choosing the topic, and the limitation of the study. Moreover, the introduction consists of the definition of the comma, an introduction to Surat Al-Nur, and the themes divided into nine themes as indicated in the research plan. Besides, the conclusion included the most important results. Allah Grant success.

Keywords: The graphic miracle, the science of munasibat, the definition of the comma

The Author(s) 2023. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

جامعة عمر المختار
مجلة المختار للعلوم الإنسانية
العدد 40 السنة 2021

المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها دراسة تطبيقية على سورة النور

منير محمد علي الطشاني.
كلية التربية- قسم اللغة العربية والدراسات الأسلامية
جامعة درنه- درنه
أستاذ مساعد
Moneer.mohmad@omu.edu.ly

الملخص

إنّ القرآن الكريم رسالة الله تعالى إلى الإنسانية كافة، فلا غرو بـأنْ يـأتي وافياً بجميع مطالب الحياة، وميّزه عن جميع الكتب الأخرى بأنّه معجز، بنظمه وحروفه وألفاظه. ومن أهم وجوه الإعجاز هو الإعجاز البياني، لأنه عام في القرآن كله لا تخلو منه سورة من سور القرآن الكريم. وجاء هذا البحث ليُبيّن جانبًا من جوانب الإعجاز البياني متمثلاً في علم المناسبات، وسمّيته: "المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها دراسة تطبيقية على سورة النور"، وقد ذكرتُ في مقدمة البحث أهمية الموضوع، وأسباب اختياريه، وحدود البحث، ثم جاء التمهيد وفيه: تعريف الفاصلة، ومدخل إلى سورة النور، ثم جاءتْ المباحث وقد جعلتها تسعة مباحث كما هو موضح في خطة البحث، ثم الخاتمة التي تضمّنتْ أهم النتائج، والله ولي التوفيق.

الكلمات المفتاحية:.

A B S T R A C T

The Glorious Quran is the message of Allah Almighty to all humanity, therefore, it is no wonder that it fulfills all the requirements of creation, and distinguishes it from all other books by saying that it is miraculous, with its frameworks, letters, and expressions. One of the most important aspects of the miracle is the rhetorical miracle because it is general throughout the entire Qur'an, in which no surah of the Holy Qur'an is missing. This research came to show an aspect of the rhetorical miracles represented in the science of Al-munasabat, and its name: "Al-munasibuh between the Quranic comma and its verses is an applied study on Surat al-Nur." As mentioned in the introduction of the study, the importance of the study, the reasons for choosing the topic, and the limitation of the study. Moreover, the introduction consists of The definition of the comma, an introduction to Surat Al-Nur, and the themes divided into nine themes as indicated in the research plan. Besides, the conclusion included the most important results. Allah Grant success.

Key words:

المقدمة

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. والصّلاة والسّلام على سيّد المرسلين، وإمام النبيين، وحامل لواء الحمد يوم القيامة، محمد رسول الله. وبعد:

فإنَّ القرآن الكريم لا يَضْمَحِلُّ منبعه، و لا تنقضي عجائبـه، فهـو منهـل الحكمة والهداية، والرحمة المسداة للناس، والنـور المـبين للأمـة، والمحجـة البيضاء التي لا يزغ عنهـا إلا هالـك. وحيثُ يقلّب الإنسـانُ نظـرهُ في القـرآن يجد أسرارًا من الإعجاز البياني، وكلما اكتشف البـاحث سـرًا من إسـراره إلا وجد سرًا أخر وهكذا إلى قيـام السـاعة، والإعجـاز البيـاني من أظهـر وجـوه الإعجاز في القرآن الكريم، ويظهر هذا واضحًا إذا تـدبرنا المناسـبة بين الآيـة القرآنية وفاصلتها.

واستكمالًا لجهود الباحثين في إظهار هذه الجـوانب الإعجازيـة الرائعـة فقــد وفقــني اللــه - تعــالى- باختيــار موضــوع بعنــوان: ((**المناســبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها دراسة تطبيقية على سورة النور**)).

أهمية البحث:

لهذا الموضوع أهمية كبيرة؛ كونه يتعلق بجانب مهم من الجوانب التي تعين على فهم القرآن الكريم وتـدبره، ألا وهـو الإعجـاز البيـاني في القـرآن الكريم، وكما أني وجدتُ علاقة كبيرة بين فواصل سورة النور ومعاني آياتها، وأما عن أسباب اختيار الموضوع فهي:

1. هذه مساهمة بسيطة ابتغيتُ بها خدمة كتاب اللـه تعـالى أولًا، ثم إثراء المكتبة بهذه البحوث.
2. وبما أن هذا علم المناسبات مرتبط بالقرآن الكريم، فـإنّ العمـل فيه هو أفضل ما قُنيت فيه الإعمار، وانقضت فيه الأوقات.
3. اهتمام العلماء وطلبة العلم بهذا النوع من البحـوث، حيث قـاموا بدراسات عديدة تتعلق بالإعجاز البياني للقرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

الحق أن هنـاك دراسـات كثـيرة في هـذا المجـال الـتي لا حصـر لهـا، ولكنني سأذكر بعض ما وقع في يدي من هذه البحوث.

- الفاصلة القرآنية، للدكتور عبد الفتاح لاشين.
- الفاصلة في القرآن، للدكتور محمد الحسناوي.
- الدلالات المعنوية لفواصل الآيات القرآنية، جمال أبو حسان.

منهج البحث:

اعتمدتُ على المنهج الاستقرائي التحليلي، فتتبعت آيات سورة النـور، ووقفتُ على الفواصـل القرآنيـة، وقمتُ بدراسـتها لاسـتخراج مـا فيهـا من مناسبة بينها وبين معاني الآية، مستعينًا بالمصادر والمراجع التي تتعلـق بهـذا الموضوع.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وتسعة مباحث وخاتمة.

المقدمة وتشتمل على: أهميـة البحث، و أسـباب اختيـار الموضـوع، و الدراسات السابقة، و حدود البحث.

التمهيد: ويشتمل على: تعريف الفاصلة، و مدخل إلى سـورة النـور، و نزولها، و مناسبة سورة النور لما قبلهـا، و مناسـبتها لمـا بعـدها، و المناسـبة بين بداية السورة وخاتمتها.

المبحث الأول: حد الزنى والقذف، وحكم اللعان.

المبحث الثاني: حادثة الأفك وزواجرها.

المبحث الثـالث: أحكـام الـتزاور، وتعليم آداب الاسـتئذان، وأحكـام المجالسة في البيوت.

المبحث الرابع: الحث على النكاح، والرغبة فيه.

المبحث الخـامس: الإعلام بعظمـة اللـه تعـالى، وبيـان حـال المـؤمن المهدي بنور الله تعالى، وحال الكافر في الدنيا والآخرة.

المبحث السادس: الأدلة الكونية على وجود الله تعالى.

المبحث السابع: حال المنافق، ووصفه، وحال المؤمن.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: البقـاء على الضـلال من المنـافقين ومرضـى القلـوب وضعاف الإيمان، بالرغم من البيان الشافي.

المطلب الثاني: المؤمن الكامل الإيمان يُذعن لأمر الله تعالى.

المبحث الثـامن: أحكـام المخالطـة والمعاشـرة، والأخـذ بالأسـباب الوقائية، لغرس الأخلاق الفاضلة.

المبحث التاسع: التعاون أساس المحبـة، والتحلي بـالأدب مـع النـبي عليه السلام.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعاون الأسري، وإباحة الأكل من بيوت معينة:

المطلب الثاني: الآداب التي يجب أن يتحلى بها الجماعة مع الرسول-ρ-، والتحذير من مخالفة أمره.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

التمهيد:

في هذا التمهيد سنذكر –إن شاء الله تعالى- مدخل إلى سـورة النـور، تضمن شيء من تعريف السورة، بشـكل عـام، ثم تسـمية السـورة، وسـبب ذلك، ونزولها، وعدد آياتها، ومناسبة سـورة النـور لمـا قبلهـا، ومناسـبتها لمـا بعدها، والمناسـبة بين بدايـة السـورة وخاتمتهـا؛ بحيث نضـع للقـارئ صـورة عامة عن السورة التي نحن في صدد دراستها، فنقول وبالله التوفيق.

تعريف الفاصلة القرآنية:

أولًا- تعريف الفاصلة لغةً:

الفاصـلة لغـةً مشـتقة من الفعـل فَصَـلَ، وجمعهـا، فواصـل، والفَصْـل الحاجِز بين الشيئين، والفصل هو القضاء بين الحق والباطـل، والفاصـلة هي خـرزة خاصـة تفصـل بين الخـرزتين في العقـد ونحـوه، (يُنظـر: ابن منظـور واخرون، 1300ه، 11/521).

ثانيًا: تعريف الفاصلة اصطلاحًا:

عرّف العلماء الفاصلة في القديم والحيث بعدة تعاريف منها:

1.عرفها الرماني بقوله: "الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني"، (الرماني، 1976م، ص: 97).

2.وعرفها السيوطي بقوله: "الفاصلة كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع"، (السيوطي، 1416ه، 2/260).

3.وعرفها من المعاصرين القطان بقوله: "ونعني بالفاصلة: الكلام المنفصل مما بعده، وقد يكون رأس آية وقد لا يكون، وتقع الفاصلة عند نهاية المقطع الخطابي، سُميت بذلك لأن الكلام ينفصل عندها"، (القطان، 1428ه، ص: 136).

ورأي الشيخ مناع القطان يبدو لي هو الأقرب للصواب؛ لأنه أوضح وأشمل مما سبقه من أقوالٍ، وعلى هذا المعنى سيكون عملنا في اكتشاف مدى علاقة الفاصلة القرآنيةً بموضوع الآية، من خلال دراستنا لسورة النور إن شاء الله تعالى.

مدخل إلى سورة النور:

سورة النور سورة مدنية، وعدد آياتها أربعٌ وستون آية، عنت هذه السورة بالجانب الأسري، وعالجت آفة منتشرة في المجتمع؛ آفةٌ خصيصة ينبغي على كل مجتمع يريد العفاف أن يتخلص من هذا الأمر الخطير، وقد بدأتْ بما هو آفة الأسرة، وحمايتها منه، وهو الزنى، فكان أولها عقوبة الزناة التي تحمى الأسرة والمجتمع من أشراره ... ثم تحدثتْ عن حد قذف المحصنات، وحكم اللعان عند الاتهام بالفاحشة أو، من أجل تطهير المجتمع من الانحلال والفساد واختلاط الأنساب، وصون الأمة من التردي في حمأة الإباحية والفوضى، وقد أشارت السورة إلى حديث الإفك على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها، وحاربت الفاحشة، وترديد الإشاعات المغرضة التي تهدم صرح الأمة، وتقوّض بنيتها التي ينبغي أن تقوم على الثقة والمحبة، ثم تحدثت السورة عن باقة من الآداب الاجتماعية في الحياة الخاصة والعامة، وهي الاستئذان عند دخول البيوت، وغض الأبصار، وحفظ الفروج، وإبداء النساء زينتهن لغير المحارم... وتزويج الأيامى... والاستعفاف لمن لم يجد مؤن الزواج، من أجل تحقيق الاستقامة على شريعة الله... ثم أبانت مزية تشريع الأحكام وأنه نور وهدى، وفضل آيات القرآن، ومزية بيوت الله وهي المساجد، وعدم جدوى أعمال الكفار وتشبيهها بالسراب الخادع، وأعقب ذلك تنبيه الناس إلى أدلة وجود الله و وحدانيته في صفحة الكون الأعلى والأسفل من تقليب الليل والنهار، وغير ذلك من الأدلة الكونية، ثم انتقل إلى وصف مواقف المنافقين والمؤمنين الصادقين من حكم الله والرسول بإعراض الأولين وإطاعة الآخرين، ووعده تعالى للمؤمنين الذين يعملون الصالحات بالاستخلاف في الأرض، ثم عادت الآيات لبيان حكم استئذان الموالي والأطفال في البيوت في أوقات ثلاثة، وحكم رفع الحرج عن ذوي الأعذار في الجهاد، وعن الأقارب والأصدقاء في الأكل من بيوت

أقاربهم بلا إذن، واستئذان المؤمنين الرسول صلّى الله عليه وسلم عند الانصراف، وتفويضه بالإذن لمن شاء، وتعظيم مجلسه ومناداته بأدب جم وحياء وتبجيل يليق به وبرسالته، (يُنظر: الزحيلي واخرون، 1430ه، 18/120ـ 121).

نزولها:

هذه السورة نزلت منجمة متفرقة، في مدة طويلة، وأوائل هذه السورة نزل قبل السنة الثالثة للهجرة، وقد أُلحِقَ بعض آياتها ببعض، وهذه السورة هي المائة في ترتيب نزول سور القرآن، عِنْدَ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. قَالَ: نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَقَبْلَ سُورَةِ الْحَجِّ، أَيْ عِنْدَ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ سُورَةَ الْحَجِّ مَدَنِيَّةٌ، (يُنظر: ابن عاشور، 1984ه، 18/140).

مناسبة سورة النور لما قبلها:

تأتي مناسبة هذه السور للسورة التي قبلها من وجهين:

الأول- عندما أثنى الله تعالى في السورة السابقة عن الذين حفظوا فروجهم عن الزنا خوفًا من الله تعالى حيث قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ﴾ (المؤمنون: 5)، جاءت هذه السورة لكي تكمل الحديث عن هذا الموضوع وتحدثت عن الذين لم يحفظوا فروجهم، وأكملتْ الحديث عن ما يتعلق بذلك من القذف وقصة الإفك، وغير ذلك.

الثاني- تحدّثت الآيات السابقة عن الخلق، وأن الله لم يخلق الناس عبثًا؛ بل للأمر والنهي، جاء في هذه الآيات وتحدث عن مجموعة من الأوامر والنواهي التي لابد من الالتزام بها (المراغي، 1365ه، 18/66).

مناسبتها لما بعدها:

سورة النور ختمت بأنّ اللّه تعالى مالك جميع ما في السموات والأرض، وبُدِئت سورة الفرقان بتعظيم اللّه الذي له ملك السموات والأرض من غير ولد ولا شريك في الملك، و أوجب اللّه تعالى في أواخر سورة النور إطاعة أمر النبي- ρ- وأبان مطلع الفرقان وصف دستور الطاعة، وهو هذا القرآن العظيم الذي يرشد العالم لأقوم طريق (الزُحيلي، 1430ه، 19/5).

المناسبة بين بداية السورة وخاتمتها:

ذكر سبحانه في بداية السورة حد الزاني والقاذف، والعذاب الذي يصيبهم، وتحدث أيضًا عن الذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم، ومن ينكر الفعلة وتكذب زوجها، وهذا بنظام الحلف، وتحدث عن الذين يرمون المحصنات، وما لهم من عذاب، وغير ذلك من الأحكام التي تتعلق بالعفاف وصيانة المجتمع، ثم ختم السورة بقوله تعالى: ﴿أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النور: 64)؛ فالله سبحانه يعلمُ ما فعلوا وما أنكروا وما قذفوا، وسوف ينبئهم بما عملوا، والله بكل شيء عليم (السّامُرائي، 1437ه، ص:37).

المبحث الأول: حد الزنى والقذف، وحكم اللعان:

قال تعالى: ﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْناها وَفَرَضْناها وَأَنْزَلْنا فِيها آياتٍ بَيِّناتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ... وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾، (النور: 1_10)

المعنى الإجمالي:

هذه السورة أوحيناها وأعطيناها الرسول- ρ- وفرضنا ما فيها من أحكام، كأحكام الزنى والقذف واللعان والحلف على ترك الاستئذان، وغض البصر ... وأنزلنا فيها دلائل واضحة وعلامات بينة على توحيد الله تعالى وكمال قدرته، لتذْكروها، وتعتقدوا وحدانيته وقدرته تعالى، (الزُحيلي، 1430ه، 18/ 122ـ123).

لطيفة نحوية:

سورةٌ: خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: هذه سورةٌ أنزلناها، وهذه في حالة الرفع، أما في حالة النصب فعلى تقدير حذف فعل، والتقدير أتلُ سورةً أو أنزلنا سورةً (الرازي، 1401ه، 23/130).

لطيفة بلاغية:

قوله تعالى: ﴿ فَرَضْناها﴾، فيها براعة استهلال؛ لأن قوله: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما مِائَةَ جَلْدَةٍ ... الآية﴾، فرضنا ما بُيِّنَ فيها من الأحكام كالتفصيل، (الألوسي، 1415ه، 9/274).

فكل ما يأتي من أحكام في هذه السورة فهو ملزمٌ، وواجب العمل بما فيها من أحكام ايجاباً قطعياً، وقدرنا ما فيها من الحدود والأحكام تقديراً محكماً، بحيث ليس فيها مشكل فتأويلها موافقٌ لظاهرها.

تحليل لُغوي:

السورة: جماعة من الآيات لها مفتتح ومختتم، منسجمة منسقة، ولها اسمٌ وعنوان، وأصل السورة في اللغة: المكانة العالية الرفيعة، قال النابغة الذبياني في قصيدة يمدح فيها النعمان بن المنذر:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَعْطَاكَ سُورةً تَرَى كُلَّ مَلَكٍ دُوْنَها يَتَذَبْذَبُ، (الذبياني، ص:56).

ومنه سور المدينة؛ لأنه عالٍ ومحيط بها، (يُنظر: ابن منظور واخرون، 1300ه). وهذا على قراءة من لم يهمز، أي منزلة بعد منزلة، ومن قرأ بالهمزِ جعلها من أَسْأَرْتُ سُؤْرَاً وسُؤْرَةً؛ يعنى أفضلتُ، كأنها قطعة من القرآن،(السمرقندي، 4/494).

مناسبة الفاصلة لموضوع الآية:

بعد أن ذكر الله-Y- امتنانه على عباده بما أنزل عليهم في هذه السورة من الفرائض والأحكام، وذكره من أدلة التوحيد وبيناته الواضحة التي لا تقبل جدلاً، فكان مناسباً أن تختم هذه الآية بقوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾، أي إذا تأملتموها مع ما قبله وهي قوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنا فِيها آياتٍ بَيِّناتٍ﴾، فتُقبلوا على جميع أوامره، وتنتهوا عن زواجره، ليغفر لكم ما قصرتم فيه من طاعته، ويرحمكم بتنويل ما لا وصول لكم إليه إلا برحمته، وتتذكروا

أيضاً بما يبين لكم من الأمور، ويكشف عنه الغطاء من الأحكـام الـتي اغمت عنها حجب النفوس، وسترتها ظلمات الأهوية، (البقاعي، 13/201 ـ 202).

فعنـدما ذكـر-سـبحانه وتعـالى- في أول السـورة أنواعـاً من الأحكـام والحدود الشرعية، وفي آخرها الدلائل على وحدانيته وكمـال قدرتـه، فأشـار إلى الأولى بقولـه: ﴿ وَفَرَضْـناها﴾، وإلى الثانيـة بقولـه: ﴿ وَأَنْزَلْنـا فِيهـا آيـاتٍ بَيِّناتٍ﴾، أعقبها بالفاصلة في قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَـذَكَّرُونَ ﴾، لتكـون الفائـدة من هذا التذكر باتقاء المحارم والبعد عنها، ومعرفة الله المعرفة التي تجعـل المرء يخضع لجلاله وعظيم سلطانه، وهذا التـذكير كي يشـعر بأنـه محاسـب على كل ما يعمل من عمل قلَّ أو كَثُرَ، فإذا تم لـه ذلـك صـلحت نُظُم الفـرد والمجتمع، (المراغي، 1365ه، 18/67).

وكذلك هنـاك ارتبـاط وثيـق جـداً بين الفاصـلة وموضـوعات السـورة، لدرجة أن الإنسان يتشوف لمعرفة هـذه الموضـوعات، يقـول الشـعراوي: " بعـد أن قـال –سـبحانه- كـذا وكـذا، أراد أن يلهب المشـاعر لتسـتقبل آياتـه الاستقبال الحسن، وتطبّق أحكامه التطبيق الأمثل، يقـول: أنـزلتُ إليكم كـذا لعلّكم تتـذكّرون، ففيهـا حثٌ وإلهـاب لنسـتفيد بتشـريع الحـق، (الشـعراوي، 1961م،16/10193).

قـال تعـالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُـونَ الْمُحْصَـناتِ ثُمَّ لَمْ يَـأْتُوا بِأَرْبَعَـةِ شُـهَداءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمـانِينَ جَلْـدَةً وَلا تَقْبَلُـوا لَهُمْ شَـهادَةً أَبَـداً وَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِـقُونَ**(4)** إِلاَّ الَّذِينَ تابُوا مِنْ بَعْدِ ذلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

المعنى الإجمالي:

هـذه الآيـة تـبين حكم قـذف المحصـنة وهي الحـرة البالغـة العاقلـة العفيفة، يجلد قاذفها ثمانين جلدة، وكذلك يجلد قاذف الرجل العفيف اتفاقـا، وقذف الرجل داخل في حكم الآية بـالمعنى، (الـزحيلي، 1430ه، 18/142).

.

المناسبة بين هذه الآيات والآيات التي قبلها:

بعد أن نفّر الله-Y- من نكاح الزانيات وإنكاح الزنـاة، نهى عن القـذف وهو الرمي بالزنى، وذكـر حـده في الـدنيا وهـو الجلـد ثمـانين، وعقوبتـه في الآخرة وهو العذاب المـؤلم مـا لم يَتُب القـاذف، (يُنظـر: الـزحيلي، 1430ه، 18/472).

الحكم الفقهي لقذف المحصنات:

بيّنت الآيات السابقة حكم قذف المحصنة البالغة العاقلة، فالذي يرمي المحصنات بالزنا ولم يتمكن من إثبات التهمة بأربعة شهداء رأوهنَّ متلبسات بالزنا، له ثلاثة أحكام:

الأول- أن يجلد القاذف ثمانين جلدة. والجلد: الضرب.

الثاني- أن ترد شهادته أبدا، فلا تقبل في أي أمر مدة العمر.

الثالث- أن يصير فاسقا ليس بعدل، لا عند اللـه ولا عنـد النـاس، سـواء كـان كاذبا في قذفه أو صادقا؛ ثم ذكر-Y- أن لهذا القاذف توبة بقوله تعـالى: ﴿ إِلاَّ

الَّذِينَ تابُوا مِنْ بَعْدِ ذلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، ولكن اختلف العلماء في عود الاستثناء، هل يعود إلى الجملة الأخيرة فقط فيرتفع الفسق، ويبقى مردود الشهادة أبدًا؟ (يُنظر: الزحيلي واخرون، 1430ه، 18/477 ـ 478).

اتفق العلماء أن الاستثناء لا يرجع إلى الجملة الأولى فلا يسقط الحد بالتوبة، ويبقى الخلاف في رد الشهادة والفسق، فقال الحنفية: يعود الاستثناء إلى الجملة الأخيرة فقط، فيرتفع الفسق بالتوبة، ويبقى مردود الشهادة أبدًا، (المَرْغِيناني، 3/121).

أما الجمهور فإنّ الاستثناء يعود على الشهادة والفسق، فتقبل شهادتهم ويرتفع الفسق عنهم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " دلّت الآية على أن شهادتهم بعد التوبة مقبولة، كما هو مذهب الجمهور، فإنّ من جملتهم مِسْطَحُ بن أَثَاثَة، وحسان بن ثابت، حَمْنَةُ بنتُ جَحْش وغيرهم، ومعلوم أنه لم يرُد النبي - ρ- ولا المسلمون بعده شهادة أحد منهم؛ لأنهم كلهم تابوا، ومن لم يتب فإنه كافر مكذب للقرآن، وهؤلاء ما زالوا مسلمين، وقد نهى الله-Y- عن قطع صلتهم، ولو رُدّتْ شهادتهم بعد التوبة لاستفاض ذلك كما استفاض رد شهادة عمر-τ- شهادة أبي بكرة"، (ابن تيمية، 1404ه، 3/425).

مناسبة الفاصلة لموضوع الآية:

بعد أن ذكر الله-Y- رد شهادة القذفة وفسقهم، شرع لهم النوبة مِنَّة وتكرم من الحق-تبارك وتعالى- ثم سِيْقت الفاصلة وهو قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، بعد توبتهم وقبولها، فبمغفرته ورحمته شرع لهم التوبة، ويقبلها منهم، وفي هذا إشارة واضحة إلى أن هناك علاقة بين فاصلة الآية وموضوعاتها، فإن من مغفرة الله-Y- أن لا ترد شهادة من تاب من القذف وأصلح عمله وحاله، فإن الله ستار لذنوبهم التي أقدموا عليها بعد أن تابوا منها، رحيم بهم فيزيل عنهم ذلك العار الذي لَحِقَهم بعدم قبول شهادتهم ووصفهم بالفسق الذي وصِفوا به، (يُنظر: المراغي واخرون، 1365ه، 18/73).

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَداءُ إِلاَّ أَنْفُسُهُمْ ... وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾.(النور: 6_9).

سبب نزول الآيات:

أخرج البخاري عن ابن عباس-ψ- "أن هلالَ بن أمية -τ- قذف امرأته عند النبي-ρ- بشريك بن سَحْماء، فقال النبيُّ-ρ- البينة أو حدٌّ في ظهرك، فقال: يا رسول الله، إذا رأى أحدُنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة؟! فجعل النبيُّ-ρ- يقول: البينة وإلا حدٌّ في ظهرك، فقال هلالٌ: والذي بعثك بالحق إنّي لصادقٌ، فلَيُنْزِلَنَّ اللهُ ما يُبَرِّئُ ظهري من الحد، فنزل جبريل-υ- وأنزل عليه قوله تعالَى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْواجَهُمْ﴾ ...الحديث"، (صحيح البخاري، 4470).

المناسبة بين هذه الآيات والتي قبلها:

ذكـر اللـه-Y- في الآيـتين السـابقتين حـد القـذف إذا لم يـأتِ القذفـة بأربعة شهداء يشهدون على صحة ما قالوا، ثم أتبـع ذلـك ببيـان أنـه إذا كـان القذفة هم الأزواج ولم يأتوا بأربعـة شـهداء؛ فإنـه يجـري بينهم حكم اللعـان، (اللاحم، 1426ه، ص: 53).

مناسبة الفاصلة لموضوع الآية:

الفاصلة في هذه الآيـة الكـريم انتهت بقولـه تعـالى: ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ تَـوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾، وكـانت التوبـة دائمـاً تنتهي بقولـه: ﴿ تَـوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾؛ فالتوبـة تلـتئم بالرحمة وقَـلّ أن تلـتئم بالحكمـة إلا في هـذا الموضـع، ففي هـذا النظم هنـا قال: ﴿ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾، ولهذا سر جميـل؛ فـإنّ اللـه تعـالى لـو لم يُشَـرّع هـذا التشريع الحكيم وهو اللعان، لم يكن للزوج مخرج من هذا المأزق الذي خرج من باللعان، وكذلك الزوجة.

يقول القاسمي: " أن الله تعالى حكم بالتلاعن على الصورة التي أمـر بها وأراد بذلك ستر هذه الفاحشة على عباده، وذلك حكمة منه ففصلت هذه الآية بـ: ﴿تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾؛ إثر بيان الحكم، جمعاً بين التوبة المرجوة من صـاحب المعصية وبين الحكمـة في سـترها على تلـك الصـورة"، (يُنظـر: القاسـمي، 1418ه، 7/335).

يقول الطِّيْبِي: "الآية كالتذييل لما سبق، فمن فضـله ورحمتـه أنّـه بيّن لكم حكم اللعان، ومن كونه تواباً إذا حصلت التوبة قبـل الرفـع إلى الحـاكم، يتوب عليكم، ويستر عليكم، ومن حكمته أنه يلعن القاذف الكـاذب، ويغضـب على الزواني ... لأنه يعلم عاقبة الأمور كلها، ويضع كـل شـيء في موضـعه، (الطِّيْبِي: 1434ه، 11/31).

المبحث الثاني: حادث الأفك وزواجرها:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جاؤُا بِالْإِفْكِ عُصْـبَةٌ مِنْكُمْ ... أُولئِكَ مُبَـرَّؤُنَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (النور: 11_ 26).

هذا شروع في الحـديث عن الآيـات المتعلقـة بالأفـك، ومـا يتبعهـا من الآيات التي تتحدث عن الجزاء الأخروي من جراء الحديث عن هذه القصة.

سبب نزول الآيات:

أخرج البخاري ومسلم وأهل السنن وغيرهم حديث عائشة-رضي اللـه عنها- الطويل في سبب نزول هذه الآيـات بألفـاظ متعـددة وطـرق مختلفـة، حاصله أن سبب النزول هو ما وقع من أهل الإفك في شأن السيدة عائشـة؛ وذلك أنها خرجتْ من هودجها تلتمس عقداً لها انقطع من جزع، فرحلوا وهم يظنون أنها في هودجها، فرجعت وقد ارتحل الجيش والهودج معهم، فأقامت في ذلك المكان، ومرّ بها صَفْوَانُ بنُ المُعَطَّل وكان متأخراً عن الجيش فأناخ راحلته وحملها عليها، فلما رأى ذلك أهل الأفك قـالوا مـا قـالوا، فبرأهـا اللـه مما قالوا بهذه الآيات التي تتلى إلى أن يرث الله الأرض وما عليهـا، (صـحيح البخاري واخرون، حديث رقم: 4141).

وقد وقعت هذه الحادثة في غزوة غزاها النبي-ρ- في شهر شعبان من السنة الخامسة للهجرة المحمدية، وتُسمى هذه الغزوة بغزوة (المريسيع)، وذلك عندما سمع النبي-ρ- أن بني المصطلق يجمعون له، (الذهبي، 1407ه، 2/258).

المعنى الإجمالي:

ذكر الله-Y- في هذه الآيات براءة عائشة أم المؤمنين مما رماها به أهل الأفك والبهتان، صيانة لعرض رسول الله-ρ- (المراغي، 1365ه، 18/78)، وقد سماه الله تعالى إفكاً؛ والإفك اسمٌ يدل على كذب لا شبهة فيه فَهُوَ بُهْتَانٌ يَفْجَأُ النَّاسَ، (ابن عاشور، 1997م، 18/169)، ثم طمأن الله-Y- آل أبي بكر وكل من تأذى بذلك الكذب واغتمّ بأن هذا الأمر ليس شراً لكم؛ بل هو خير لكم في الدنيا والآخرة، لاكتسابكم به الثواب العظيم، فقال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ... الآية﴾، (الزحيلي، 1430ه، 18/115).

ثم ذكر عقاب من اجترحوه كل منهم بقدر ما خاض فيه، فإنّ بعظهم تكلم، وبعظهم ضَحِكَ كالمسرور الراضي بما سمع، حيث قال تعالى: ﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ... الآية﴾، (المراغي، 1365ه،18/83)، ثم تحدَّث عن الذي تولى معظم هذا الأمر منهم بأنّ له عذاب عظيم في الدنيا والآخرة؛ أما في الدنيا فبإظهار نفاقه على رؤوس الأشهاد، وأما في الآخرة فبعذاب لا يقدر قدره إلا العليم الحكيم، حيث قال تعالى: ﴿ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾، (يُنظر: الشعراوي، 10216).

مناسبة الفاصلة لموضوع الآية:

لما كانت الآية تتحدث عن الذين جاءوا بهذه الكذبة العظيمة، ثم أن لهم عقاب وجزاء بقدر ما خاض كل منهم من الإثم، وأن هناك من له عقاب أكبر، والذي تحمّل معظم ذلك، ولهذا كان مناسباً أن تختم الآية بهذه الفاصلة وهي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾؛ أي الذي تحمل معظم ذلك الإثم والضالع فيه، وله حظ وافر فيه له عذاب عظيم؛ وهو عبد الله بن أبي، فهو الذي كان يجمعه ويستوشيه ويذيعه ويشيعه، وعمل على نشره؛ فناسب انتهاء الآية بهذه الفاصلة المخيفة في الوعيد، (يُنظر: الشعراوي واخرون، 10216).

وبعد ما عاتب الله تعالى على المؤمنين بتسعة أمور في الآيات بقوله: ﴿ لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهذا سُبْحانَكَ... الآية﴾؛ ظننتم الخير بإخوانكم، وطلب من الاتيان بالشهداء على هذه الفرية فإذا لم يأتوا بالشهداء ولم يقيموا بينة على ما قالوا: ﴿فَأُولئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكاذِبُونَ﴾، فهناك مناسبة شديدة بين هذه الفاصلة وهي قوله تعالى: ﴿ فَأُولئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكاذِبُونَ﴾، وموضوعها، وهذا ما بيّنه سيّد قطب في تفسيره لهذه الآية حيث قال: "وهذه الفرية الضخمة التي تتناول أعلى المقامات، وأطهر الأعراض، ما كان ينبغي أن تمر هكذا سهلة هينة وأن تشيع هكذا دون تثبت

ولا بينةٍ وأن تتقاذفها الألسنة وتلوكها الأفواه دون شاهد ولا دليـل: ﴿لَـوْلا جـاؤُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ﴾، وهم لم يفعلوا فهم كاذبون إذن... فهي الوصمة الثابتة الصادقة الدائمة التي لا براءة لهم منهـا، ولا نجـاة لهم من عقباهـا"، (قطب، 1412ه، 4/2502).

لطيفة بلاغية:

قال الله تعالى: ﴿ فَأُولئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكاذِبُونَ﴾، ولم يقلْ: فأولئك هم الكاذبون؛ بل قال: ﴿ عِنْدَ اللَّهِ﴾، أي عند الله وهو الحق المطلق الذي لا يقبـل التأويل ولا التغيير، يقول الطـاهر بن عاشـور: "والتقييـد بقولـه: ﴿ عِنْـدَ اللَّهِ﴾، لزيادة تحقيق كذبهم؛ أي هو كذب في علم اللـه، فـإنّ علم اللـه لا يكـون إلا موافقًا لنفس الأمر"، (ابن عاشور، 1997م، 18/176).

قال تعالى: ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِـهِ أَبَـداً إِنْ كُنْتُمْ مُـؤْمِنِينَ (17) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

المعنى الإجمالي:

"أي يعظكم الله تعـالى بهـذه المواعـظ الـتي بهـا تعرفـون عظم هـذا الـذنب، وإن في النكـال والعقـاب بالحـد في الـدنيا، والعـذاب في الآخـرة"، (المراغي، 1365ه، 18/86).

مناسبة الفاصلة لموضوع الآية:

بعـد أن بيّنت الآيـة جـرم هـؤلاء القذفـة وأنهم قـالوا البهتـان في حـق الصديقة بنت الصديق ناسبتْ الفاصلة قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، ببيان إحاطة الله تعالى بكل شـيء، ورحمتـه ورعايتـه بنبيـه والمؤمـنين، والتحـذير الشديد من الغدر والخيانة، وهو وحده يعلم صدق توبتهم.

يقول الخازن في معرض حديثة عن هذه الفاصلة: "واللـه عليم: يعـني بسرائر عباده ومن سبقت له العناية الأزليـة بالسـعادة فيتـوب عليـه ويهديـه إلى الإسـلام، حكيم: يعـني في جميـع أفعالـه، (الخـازن، 1399ه، 3/66)، وهكذا نرى العلاقة واضحة بين الفاصـلة وموضـوعها، وأكـدت الفاصـلة على موضوع الآية.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفاحِشَـةُ فِي الَّذِينَ آمَنُـوا لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُـونَ (19) وَلَـوْلا فَضْـلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾.

المعنى الإجمالي:

هذه الآيات عامة، تعم إشاعة الفاحشة بالفعل وتعم إشـاعة الفاحشـة بالقول عبر الإفك والبهت في أعـراض النـاس، وهـذا مناسـب للمقـام. قـال الطاهر بن عاشور: " واسم الموصول يعم كـل من يتصـف بمضـمون الصـلة

فيعم المؤمنين والمنـافقين والمشـركين، فهـو تحـذير للمؤمـنين وإخبـار عن المنافقين والمشركين"، (ابن عاشور، 1997م، 18/184).

مناسبة الفاصلة لموضوع الآية:

بالتأمل يظهر تلاحم الآيات وترابطهـا مـع مـا قبلهـا، فكونـه-Y- رؤوفـاً رحيماً تفضل على المؤمـنين ورحمهم، ووفقهم إلى التوبـة ممـا حصـل منهم من الخوض في هذه القضية وقبلها، وطهرهم من ذلك، قال ابن كثـير: "لـولا هذا لكان أمـر آخـر، ولكنـه تعـالى رؤوف بعبـاده، رحيم بهم، فتـاب على من تاب إليه من هـذه القضـية، وطَهَّر من طَهَّر منهم بالحـد الـذي أقيم عليهم"، (ابن كثير، 1422ه، 3/456). وقال الطاهر ابن عاشور: "ذكر هنا بأنه رؤوف رحيم، لأن هذا التنبيه الذي تضمنه التذييل فيـه انتشـال للأمـة من اضـطراب عظيم في أخلاقهـا وآدابهـا وانفصـام عـرى وحـدتها فأنقـذها من ذلـك رأفـة ورحمــة لآحادهــا وجماعتهــا وحفظــاً لأواصــرها"، (ابن عاشــور، 1997م، 18/186).

أثر المناسبة:

فيها بيان لإحاطة الله تعالى بكل شيء، ورحمتـه ورعايتـه بـالمؤمنين، والتحذير الشديد من الغدر والخيانة.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُـواتِ الشَّـيْطانِ وَمَنْ يَتَّبِـعْ خُطُـواتِ الشَّـيْطانِ فَإِنَّهُ يَـأْمُرُ بِالْفَحْشـاءِ وَالْمُنْكَـرِ وَلَـوْلا فَضْـلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ما زَكى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَـداً وَلكِنَّ اللَّهَ يُـزَكِّي مَنْ يَشـاءُ وَاللَّهُ سَـمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

مناسبة الآية لما قبلها:

"الآية نزلت بعد العشر الآيات المتقدمة... وما تضمنته تلك الآيـات من المناهي وظنون السوء ومحبة شيوع الفاحشة كلـه من وسـاوس الشـيطان، فشـبّه حـال فاعلهـا في كونـه متلبسـاً بوسوسـة الشـيطان بهيئـة الشـيطان يمشي، والعامل بأمره يتبـع خطى ذلـك الشـيطان"، (ابن عاشـور، 1997م، 18/186).

المعنى الإجمالي:

نهى الله-Y- المؤمنين عن اتباع آثار الشـيطان ومسـالكه في الإصـغاء إلى الإفك والتلقي له وإشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، وهذه الآية تؤكـد أن الموضوع يعود إلى الإرادة الإلهية، فكـل شـيء بـأمره ورهن إشـارته فلـذلك قال تعالى: ﴿ وَلَوْلا فَضْـلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُـهُ مـا زَكى مِنْكُمْ مِنْ أَحَـدٍ أَبَـداً﴾، وهذا يؤكد أن الإيمان والتّقوى والورع أمورٌ لا تأخذ بقوة الشخص؛ وإنمـا هي توفيق رباني ولطف إلهي، (يُنظر: ابن عطية، 1413ه،4/172).

مناسبة الفاصلة لموضوع الآية:

لمّا كانت الآيات السابقة تتحدث عن إشاعة الفاحشة في الذين آمنـوا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِـيعَ الْفاحِشَـةُ فِي الَّذِينَ آمَنُـوا ... الآية﴾، ختم في هذه الآيـة بقولـه: ﴿وَاللَّهُ سَـمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، أي سـميع لمن يشـيع

الفاحشة، عليم بما في نفسه من محبة إشاعتها، وسميع لمن ينكر على ذلك، عليم لما في نفسه من كراهة ذلك فيجازي كلاً على عمله، (ابن عاشور، 1997م، 18/188).

قال الشعراوي: لذلك قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾، لما قيل، ﴿عَلِيمٌ﴾، بما تُكنَّهُ القلوب من حب لإشاعة الفاحشة، (الشعراوي، 16/10227).

قال تعالى: ﴿وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبى وَالْمَساكِينَ وَالْمُهاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

المعنى الإجمالي:

هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق-ت- حين حلف ألا ينفع مِسْطَحُ بن أُثَاثَة بنافعة أبداً بعد ما قال في السيدة عائشة-رضي الله عنها- ما قال، وذلك بعد ما نزلت براءة عائشة وطابت النفوس وتاب الله تعالى على من تكلم من المؤمنين في ذلك، فأمر الله تعالى بالغفو على من أساءوا بقوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾، أي وليتركوا عقوبتهم على ذلك بحرمانهم مما كانوا يؤتونهم، وليعودوا على مثل الذي كانوا عليه من الفضل، (يُنظر: المراغي، 1365ه، 18/89).

مناسبة الفاصلة لموضوع الآية:

هذه الفاصلة وهي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، مناسبة لموضوع الآية، فعندما كانت الآية تتحدث على الحض على العفو والصفح على من أساء والترغيب في ذلك، والتفضل بقوله تعالى: ﴿ أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، أي ألا تحبون أن يستر الله عليكم ذنوبكم بأفضاله عليكم، فكما تغفر ذنب من أذنب إليك يغفر الله لك، فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، فمن تخلق بأخلاق الله تعالى فليكن له غفران، وليكن لديه رحمة، (يُنظر: الشعراوي، 16/10234)، فعطف جملة: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، على جملة: ﴿ أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، زيادة في الترغيب في العفو والصفح وتطميناً لنفس أبي بكر في حنثه وتنبيهاً على الأمر بالتخلق بصفات الله تعالى، (ابن عاشور، 1997م، 18/190).

المبحث الثالث: أحكام التزاور، وتعليم آداب الاستئذان، وأحكام المجالسة في البيوت.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلى أَهْلِها ... وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكى لَكُمْ وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾، (النور: 27_28).

سبب نزول الآية:

روى الواحدي بسنده عن عُدي بن ثابت-ت- إنه قال: "جاءت امرأةٌ من الأنصار فقالتْ: يا رسول الله إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد لا والد ولا ولد، فيأتي الأب فيدخل عليَّ، وإنه لا يزال يدخل عليَّ

رجلٌ من أهلي وأنا على تلك الحال فكيف أصنع؟ فـنزلت الآيـة"، (الواحـدي: 1424ه، ص: 249).

صلة الآيات بم قبلها:

ذكر الله-Y- في الآيـات السـابقة من أول السـورة إلى مـا قبـل هـذه الآيات حد الزنا والقذف وأحكامهما، ثم أتبع ذلك بالأمر بالاستئذان عند دخول بيوت الغير، وذلك كله حفاظاً على الأعراض، وصـيانتها، وذلـك أن الاسـتئذان من أسباب الوقاية من الاطلاع على ما لا يجـوز والنظـر إلى العـورات، وقـد يؤدي ذلك من الوقوع في الفاحشة، (اللاحم، 1426ه، ص: 136).

المعنى الإجمالي:

الحديث في هذه الآيات لا يزال مستمراً في تأديب الله تعالى لعبــاده، فقد أنزل هذه الآيات ليعلمهم أن للبيوت حرمات، وأنه لا ينبغي الدخول إليها من غــير اســتئذان مِنْ مَنْ لــه حــق الإذن من أهلهــا في الــدخول عليهم، وتسلموا عليهم تحية لهم، وهذا ليتجنب الإنسان الـدخول بغتـة، لمـا فيـه من الاطلاع على عورات إخوانهم، (لجنة من العلماء، 6/1396).

مناسبة الفاصلة لموضوع الآية:

لما كانت الآية تتحدث عن الاستئذان عنـد إرادة الـدخول إلى الـبيوت، وتحذرهم من مخالفة هذا الأمر ناسب أن تنتهي الآية بهذه الفاصلة؛ بأن اللـه تعالى عالم بكل شيء، وأنه لا يخفى عليه شيء، وأنه مشاهد لكل شيء في هـذا الكـون وأنـه بكـل شـيء عليم، قـال ابن عاشـور: "وقولـه: ﴿وَاللَّهُ بِمـا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾، تذييل لهذه الوصايا بتذكيرهم بأن اللـه تعـالى عليم بأعمـالهم ليزدجر أهل الإلحاح عن إلحاحهم بالتثقيل، وليزدجر أهل الحيل أو التطلع من الشقوق ونحوها، وهذا تعريض بالوعيـد؛ لأن في ذلـك عصـيانًا لمـا أمـر اللـه تعالى به، فعلمه به كناية عن مجازات فاعليـه بمـا يسـتحقون، (ابن عاشـور، 1997م، 18/201).

قال تعالى: ﴿ قُـلْ لِلْمُـؤْمِنِينَ يَغُضُّـوا مِنْ أَبْصـارِهِمْ وَيَحْفَظُـوا فُـرُوجَهُمْ ذلِكَ أَزْكى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما يَصْنَعُونَ﴾.

المعنى الإجمالي:

خاطب الله-Y- نبيه محمـد-ρ- بـأن يـأمر اتباعـه المؤمـنين يغضـوا من أبصارهم، ولا ينظروا إلا إلى ما أبيح لهم النظر إليـه، ويحفظـوا فـروجهم عن الزنا ويستروا عوراتهم، فهذا أطهر لقلوبهم من الدنس، ثم أكد تعـالى الأمـر للمؤمنـات بغض البصـر وحفض الفـرج، وزادهن في التكليـف على الرجـال بالنهي عن إبداء الزينة إلا للمحارم، فإن ذلك أولى لهن، (الصابوني،1401ه، 2/1417).

لطيفة بلاغية:

السر في تقديم غض البصر على حفظ الفروج؛ وذلك لأن النظر بريـد الزنا ورائد الفجور، والبلوى فيه أشـدّ وأكـثر، ولا يكـاد يقـدر على الاحـتراس منه، (صافي، 1416ه، 9/256).

مناسبة الفاصلة لموضوع الآية:

عندما تحدثتْ الآيـة عن النظـر وحفـظ الأعـراض وصـيانتها- وهـو أمـرٌ سري داخلي – فكانت الحكمة في اختيار اسم: (الخبير)، مناسباً لهـذا الأمـر، فـإنّ – ولاشـك – هـذه الأحكـام تحتـاج إلى رقابـة ذاتيـة في داخـل النفس البشــرية، ولا يوجــد مقيــاس أرضــي يحكم بالحــل أو الحرمــة على بعض السـلوكيات والتصـرفات إلا الإنسـان نفسـه، ووازع الإيمـان الـداخلي فيـه، فجاءت الفاصلة مناسبة لهذا الأمر؛ لكي تستشعر هذه البشرية عظمـة اللـه تعـالى ورقابتـه واطلاعـه على مكنوناتهـا وخفاياهـا، وبـذلك تصـفوا النفـوس وتستقيم على شرع الله تعالى؛ وفي هذا يقول الزمخشري: " ثم أخـبر أنـه: ﴿خَبِيرٌ﴾، بأفعالهم وأحوالهم، وكيف يجيلون أبصارهم؟ وكيـف يصـنعون بسـائر حواسـهم وجـوارحهم؟ فعليهم -إذا عرفـوا ذلـك- أن يكونـوا منـه على تقـوى وحذر في كل حركة وسكون"، (الزمخشري، 1418ه، 4/288).

قال تعالى: ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَـا ظَهَـرَ مِنْهـا... وَتُوبُـوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعـاً أَيُّهَـا الْمُؤْمِنُـونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

المعنى الإجمالي:

أمر الله -Y- المؤمنات بغض البصر وحفظ الفرج وزادهنّ في التكليف على الرجال بالنهي عن إبداء الزينة إلا للمحارم والأقرباء.

لطيفة بلاغية:

قولــه تعــالى: ﴿ وَتُوبُـوا إِلَى اللَّهِ ... ﴾، من بــاب:(الالتفــات)، وتلــوين الخطاب، فقد كان الكلام في صدر الآيـة موجهـاً للرسـول-ρ- ثم صُـرِفَ عن الرسول إلى الجميع بطريق الالتفات، (الصابوني، 1400ه، 2/150 ـ 151).

مناسبة الفاصلة لموضوع الآية:

لمّا كانت الآية تتحدث عن غض البصر وحفظ الفـرج، جـاءت الفاصـلة مناسبة لموضوع الآية، فطلب الله تعالى من جميع المؤمنين التوبة إلى اللـه تعــالى، فناســب أن تنتهي الفاصــلة بقولــه: ﴿ وَتُوبُـوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعـاً أَيُّهَـا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، وهذا مناسب ومتصـل مـع الأوامـر والنـواهي في الآيتين، "لما سبقت أوامر منه تعالى ومناهٍ، وكان الإنسان لا يكاد يقــدر على مراعاتها دائماً وإن ضبط نفسه واجتهد فلا بد من تقصير أمر بالتوبة وبترجي الفلاح إذا تابوا"، (أبو حيان، 1422ه، 6/414).

المبحث الرابع: الحثُ على النكاح، والرغبة فيه:

قال تعالى: ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيامى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبادِكُمْ وَإِمـائِكُمْ... وَلَقَـدْ أَنْزَلْنـا إِلَيْكُمْ آيـاتٍ مُبَيِّنـاتٍ وَمَثَلاً مِنَ الَّذِينَ خَلَـوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَـةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾، (النور: 32_34).

مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذم الزنا وبيّن حكمه، وأمر بغض البصر وحفظ الفروج عن الحرام، أمر بإشباع هذه الغريـزة بـالطرق الحلال، ورغّب في ذلـك، فسـبحان العليم الحكيم، (اللاحم، 1426ه، ص: 184).

المعنى الإجمالي:

أمر الله تعالى في هذه الآيات بـتزويج الشـباب وتحصـين الأحـرار من الرجال، وكذلك من أهل الصلاح من عبيـدكم ومـواليكم، فلا يمنعكم فقـرهم من انكاحهم، فالله واسع الفضل، جوادٌ كريم.

ثم يأمر تعالى الشباب الذين لا تتيسـر سـبل الـزواج بالعفـة والابتعـاد عما حرم الله تعالى حتى يوسع الله لهم، وهذه فيهـا تربيـة للضـمير الـديني، فقد أمر الله تعالى بالاستعفاف. كما أمر السادة بمكاتبة العبيد الأرقاء الذين يريدون أن يتحرروا من رق العبودية، فهـذا من سـماحة الإسـلام الـذي كـان ينزع إلى تحرير الإنسان من العبودية ونهـاهم أن يكرهـوا فتيـاتهم، (الإمـاء)، وليس الحرائر على البغاء، (يُنظر: الصابوني، 1400ه، 2/178 ـ 179).

مناسبة الفاصلة لموضوع الآية:

عندما تحدثت هذه الآيات على مسألة مهمة وهي مسألة المال، حـتي يتمكن من اسـتغلاله في شـؤون الحيـاة وفي مقـدمتها الـزواج، فكـان من المناسب أن تختم هذه الآيـات بقولـه: ﴿وَاللَّهُ واسِـعٌ عَلِيمٌ﴾، فالله واسـعٌ في عطائه يعطي من غير محاسبة، ﴿عليمٌ﴾، بأحوالهم، وهذا مناسـب للعلاقـة بين فاصلة الآية وموضوعها.

ثم تأتي الفاصلة الأخرى وهي قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْراهِهِنَّ غَفُـورٌ رَحِيمٌ﴾، فهذه الآيات تتحدث عن إكراه الفتيات على البغاء من أسيادهن رغبة في المال، وهذا الإكراه يجعلهنّ قلقات باعتقادهن أنهنّ لن ينجوا من عـذاب الله تعالى، جاءت الفاصلة مناسبة لموضوع الآية بأنّ الله تعالى غفور رحيم، فلا يؤاخذ العباد على الإكراه، "ولما نهى سبحانه عن الإكـراه، رغب المـوالي في التوبـة عنـد المخالفـة فيـه فقـال: ﴿وَمَنْ يُكْـرِهْهُنَّ﴾، دون أن يقـول: وإن أكرهن، وعبر بالمضارع إعلاماً بأن يقبل التوبة ممن خـالف بعـد نـزول الآيـة، وعبر بالاسم العلم في قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾، إعلاماً بـأن الجلال غـير مـؤيس من الرحمة، ولعله عبر بلفظ ﴿بَعْد﴾، إشارة إلى العفو عن الميل إلى ذلـك الفعـل عند مواقعته إن رجعت إلى الكراهة بعده، فإن النفس لا تملك بغضه حينئـذ، فقال: ﴿مِنْ بَعْـدِ إِكْـراهِهِنَّ غَفُـورٌ﴾، أي لهن وللمـوالي، يسـتر ذلـك الـذنب إن تـابوا﴿ رَحِيمٌ﴾، بـالتوفيق للصـنفين إلى مـا يرضـيه"، (البقـاعي، 1424ه، 5/462).

المبحث الخامس: الإعلام بعظمة الله تعالى، وبيان حـال المؤمن المهدي بنور الله تعالى، وحال الكافر في الدنيا والآخرة.

قـال تعـالى: ﴿اللَّهُ نُـورُ السَّـماواتِ وَالْأَرْضِ مَثَـلُ نُـورِهِ كَمِشْـكاةٍ فِيهـا مِصْباحٌ ... وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾، (النور: 35).

مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر-Y- أنه أنزل في هذه السورة آيات بينات لكل ما يحتاج إليه الناس في صلاح أحوالهم في معاشهم من الشرائع والأحكام والآداب والأخلاق، بيّن أنه نور السموات والأرض بما بثّ فيهما من الآيات الكونية، (الهَرَرِيّ، 1421ه، 19/297).

المعنى الإجمالي:

استهلال عجيب بدأ به ربُّ العباد فقال: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ ...الآية﴾، وذكر الله-Y- أنه نور السموات والأرض بما بثّ فيهما من الآيات الكونية، والآيات التي أنزلها على رُسله دالة على وجوده ووحدانيته، فـ"الله نور السموات والأرض؛ أي هادي أهل السموات و السماوات والأرض بما نصب من الأدلة في الأكوان، وبما أنزل على رسله من الآيات البينات، فهم بنوره إلى الحق يهتدون"، (يُنظر: المراغي، 1365ه، 18/107)، وقال تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ ...الآية﴾، أي صفة نوره العجيبة الشأن كصفة مشكاة؛ وهي الفتحة الصغيرة في الجدار، وهي كُوة صغيرة أو نافذة في البيت، وهذا يكون أجمع لضوء المصباح؛ والمصباح موجود في زجاجة كي لا تنطفئ من الريح، والزجاجة كأنها كوكب دري، فشبّه شبهها بالكوكب الساطع في السماء، ثم قال تعالى: ﴿ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ﴾؛ أي يوقد هذا المصباح من زيت الزيتون، وهذه الشجرة لا شرقية ولا غربية؛ أي لا شرقية فحسب ولا غربية فقط؛ بل هي شرقية غربية؛ أي ضاحية فهي معرضة للشمس في كل أوقات النهار، فقد شبة نور الله تعالى؛ أي أدلته الدالة على الهدى والحق، شبّة ذلك بنور المشكاة، (طنطاوي، 1997م، 10/128 ـ 129).

مناسبة الفاصلة لموضوع الآية:

لما كانت الآية تتحدث عن نور الله تعالى الذي يهدي به من يشاء من عباده، ويوضح لهم الطريق القويم وفق منهج الله تعالى تأتي الفاصلة القرآنية مناسبة لموضوع الآية، حيث قال: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾؛ أي لا يغيب عن علمه شيء من الأشياء معقولاً كان أو محسوسًا، ظاهرًا أو باطنًا، فعيطي هدايته من يستحقها ممن صفتْ نفوسهم، واستعدوا لتلقي أحكام الدين وآدابه، وكذلك يجعل وسائطها على ضروب شتى، بحسب اختلاف أحوال عباده؛ لتقوم له الحجة عليهم، فيوجه الأول نحو نوره العظيم، ويذر الأخر في ضلاله المبين، (الهَرَرِيّ، 1421ه ـ 2001م، 19/333).

قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَالْآصالِ (36) رِجالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقامِ الصَّلاةِ وَإِيتاءِ الزَّكاةِ يَخافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصارُ (37) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾.

المعنى الإجمالي:

بيّن سبحانه وتعالى حال من حصلتْ لهم الهداية بـذلك النـور، بعـد أن ذكر سبحانه وتعالى نـوره لعبـاده وهدايتـه إيـاهم، ثم قـال: ﴿ يُسَبِّحُ لَـهُ فِيهـا بِالْغُدُوِّ وَالْآصالِ ... الآية﴾، أي ينزّه الله ويقدسه في أول النهار وآخره، رجــال لا تشغلهم الدنيا وزخرفتها عن ذكر ربهم، (المراغي، 1365ه، 18/111).

مناسبة الفاصلة لموضوع الآية:

لمّا كانت الآية تتحدث عن طاعة المؤمنين ووصـفهم بالجـد والاجتهـاد، وأن كل عمل فهو بحسـاب، فـالحق يعطيهم الثـواب العظيم في مقابلـة مـا عملوا، وهذا الرزق لا حد له، (ابن عطيـة، 1422ه، 4/187)، وهنـا يتـبين أن الصلة وثيقة بين فاصلة الآية وموضـوعها، فعنـدما تحـدثتْ الآيـة عن الرجـال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيـع عن ذكـر اللـه تعـالى، ناسـب بـأن تكـون هـذه الفاصلة مبشرة لهم بأن الله سيجزيهم على مـا عملـوا أحسـن جـزاء، وهـذا يجعل العبد يُقبل على الطاعات مع الإخلاص فيها.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمـالُهُمْ كَسَـرابٍ بِقِيعَـةٍ يَحْسَـبُهُ الظَّمْـآنُ مَاءً حَتَّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْـدَهُ فَوَفَّاهُ حِسـابَهُ وَاللَّهُ سَـرِيعُ الْحِسـابِ(39) أَوْ كَظُلُمـاتٍ فِي بَحْـرٍ لُجِّيٍّ يَغْشـاهُ مَـوْجٌ مِنْ فَوْقِـهِ مَـوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ يَـدَهُ لَمْ يَكَـدْ يَراهـا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ﴾.

المعنى الإجمالي:

شرع الله تعالى في ضرب مثلين للكفـار وأعمـالهم، كسـراب بقيعـة؛ السراب الذي يتراءى للمسافر في الفيـافي؛ أي أن الأعمـال الصـالحة الـتي يعملونهـا في الـدنيا ويظنـون أنهم سـتنجيهم في الآخـرة، ونسـوا أن قبـول الأعمال يكون له شرط الإيمـان، فالعمـل الـذي يعملـه الكـافر ويظنـه خـيرًا ويؤجر عليه في الآخرة ونَسِي أن الله تعالى لا يقبل كل عمل خير إلا بشرط الإيمـان، قـال تعـالى: ﴿ ثُمَّ كـانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُـوا وَتَواصَـوْا بِالصَّـبْرِ وَتَواصَـوْا بِالْمَرْحَمَةِ (17) أُولئِكَ أَصْـحابُ الْمَيْمَنَـةِ﴾، فالأعمـال تقبـل بشـرط أن يكـون صاحبها من المؤمنين، وأما الكفار فيُعْطَى أجره في الدنيا فقط، مثـل زيـادة في الرزق والأولاد وغير ذلك.

والمثـل الأخـر: ﴿ أَوْ كَظُلُمـاتٍ فِي بَحْـرٍ لُجِّيٍّ ... الآيـة﴾، وهنـا للأعمـال السيئة، فالأعمال الأولى أعمال حسـنة وهنـا أعمـال سـيئة، فأعمـالهم الـتي عملت على غـير هـدى مثـل الظلمـات مترادفـة في بحـر عميـق مـاؤه، فالظلمات هي أعمـال الكفـار، والبحـر اللُجّيّ قلـوبهم الـتي غمرهـا الجهـل، وتغشتها الحيرة والضلالة، (القرطبي، 1384ه، 12/281 ـ 285).

مناسبة الفاصلة لموضوع الآية:

عندما تحدثت الآية القرآنية عن الـذين يصـنعون المعـروف من صـدقة وغير ذلك، ولم يخلصوا فيهـا النيـة للـه تعـالى، والأصـل في عمـل الخـير أن يكون من الله ولله، وسوف يُواجه هـؤلاء بهـذه الحقيقـة فيقـال لأحـدهم كم

جاء في حديث أبي هريرة: "فَعَلْتَ لِيُقَالَ ... فَقَدْ قِيلَ"، (صحيح مسلم، حديث رقم:1905)، ناسب أن تنتهي الآية بهذه الفاصلة وهي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ﴾، ففيها تهديد ووعيد لهؤلاء الذين يعملون هذه الأعمال التي ستكون حسرة عليهم، ولا يؤخر الله سبحانه عنهم العذاب، فإياك أن تستبعد الموت أو البعث، فالزمن لا يحسب لأنه يمر عليك دون أن تشعر، فهو لا يماطل الحساب ولا يؤخره عند حلول مقتضيه، (يُنظر: الشعراوي واخرون، 16/10286).

المبحث السادس: الأدلة الكونية على وجود الله تعالى:

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ ... وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾، (النور: 42).

يتحدث الله تعالى إلى نبيه محمد-ρ- وقول له: ﴿ أَلَمْ﴾؛ أي: ألم تعلم؟ والرؤية رؤية علمية وليست بصرية، علمًا يقينيًا أن الله يسبح له ما في السماوات والأرض من العُقلاء وغيرهم من الملائكة والإنس والجن والجمادات، ومنها الطير الباسطات أجنحتها ... والتنزيه يدل على اتصاف الخالق بجميع صفات الكمال، (يُنظر: الزحيلي، 1430ه، 18/603 ـ 604).

مناسبة الفاصلة لموضوع الآية:

لما كانت الآية تتحدث عن علم الله تعالى، وأنه بكل شيء عليم، وأنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وأنه يعلم ما يكون من الكلام السري، وأن كل من هذه المخلوقات التي في السماوات والأرض له طريقته في التسبيح الخاصة به، وهذا التسبيح لا يعلمه إلا الله تعالى ناسب أن تأتي الفاصلة مختومة بقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِما يَفْعَلُونَ﴾، فقد بيّن سبحانه وتعالى أن جميع المخلوقات تسبح بحمده وهو وحده سبحانه عليم بأفعالهم لا يخفى عليه شيء منها، (يُنظر: طنطاوي، 1978م، 10/137)، وبهذا نرى شدة ارتباط الفاصلة بموضوعها.

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ ماءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

المعنى الإجمالي:

تحدث الله تعالى في هذه الآيات الكريمة عن مبدأ الخلق، وأنه خلق كل حيوان يدب على الأرض من ماء هو جزء من مادته، ثم فصّل أقسام الحيوان مما يدب على الأرض، فذكر من يمشي على بطنه من الحيات، ومنهم من يمشي على رجلين مثل الإنسان، وباقي الحيوانات لم يذكرها لأنها دخلتْ في قول تعالى: ﴿ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشاءُ﴾، مما ذكر ولم يذكر، (اللاحم، 1426ه، ص: 278/279).

مناسب الفاصلة لموضوع الآية:

بعدما تحدث سبحانه وتعالى في هذه الآيات عن دلائل قدرته وإحاطته بكل شيء، وأنه خلق أصنافًا عديدة من المخلوقات وأن هذه المخلوقات

مصدرها واحد وهو الماء، كان مناسبًا أن تختم هـذه الآيـة بقولـه تعـالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَـدِيرٌ﴾، فأكّـد بــ"إِنَّ"، وهي حـرف نصـب، والقـدير على وزن "فَعِيْل"، صيغة مبالغة، يدل على كمال قدرته على كـل شـيء، (يُنظـر: اللاحم، 1426ه، ص: 280).

يقـول ابن القيم: " فمن أعظم الحِكم الدلالـة الظـاهرة على معرفـة الخالق الواحد على ذلك كله، بحيث جاءت كلها مطيقة منقادة إلى ما خلقهـا له ... وذلك أدل شيء على قوته القاهرة، وحكمته البالغة وعلمه الشـامل"، (ابن القيم، 1427ه، ص: 249)، وبذلك نرى الصلة الوثيقة بين موضوع الآية والفاصلة القرآنية.

المبحث السابع: حال المنافق، ووصفه، وحال المؤمن.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: البقاء على الضلال من المنافقين ومرضى القلـوب وضـعاف الإيمان، بالرغم من البيان الشافي.

قـال تعـالى: ﴿وَيَقُولُـونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُـولِ وَأَطَعْنـا ثُمَّ يَتَـوَلَّى فَرِيـقٌ مِنْهُمْ ... أَفِي قُلُـوبِهِمْ مَـرَضٌ أَمِ ارْتَـابُوا أَمْ يَخـافُونَ أَنْ يَحِيـفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، (النور: 47_50).

المعنى الإجمالي:

يتحـدث اللـه-Y- عن المنـافقين في هـذه الآيـات الكريمـات ويقـول سبحانه: ﴿وَيَقُولُونَ﴾، فمن الـذين يقولـون؟ هم المنـافقون، وعرفنـا ذلـك من السياق وبما يأتي قُبَيْلَ قليـل، وربمـا أضـمرهم هنـا إهانـة لهم وتحقـير لهم، "فهم ينسبون إلى أنفسهم الإيمان بالله وبالرسول، والطاعة للـه وللرسـول بمجـرد اللسـان ... يقولـون بـأفواههم مـا ليس في قلـوبهم"، (القنـوجي، 1412ه،9/246)، وإذا دُعِي هؤلاءِ إلى كتاب الله وإلى الرسول ليحكم بينهم فيما اختصموا فيه أعرضـوا عن قبـول الحـق واسـتكبروا، قـال تعـالى: ﴿وَإِذا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾، وفي المقابـل إن كان الحق لهم فمن عجائب فعلهم وسماجتهم أنه قال عنهم الحـق: ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَـأْتُوا إِلَيْـهِ مُـذْعِنِينَ﴾، أي وإذا كـانت الحكومـة لهم جـاءوا إلى الرسـول مطيعين، لعلمهم بأنـه يحكم لهم، لأنـه لا يحكم إلا بـالحق، (يُنظـر: المراغي، 1365ه، 18/123).

ثم قـال: ﴿ أَفِي قُلُـوبِهِمْ مَـرَضٌ أَمِ ارْتَـابُوا أَمْ يَخـافُونَ أَنْ يَحِيـفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ... الآية﴾، هذا السـؤال يُسـتفاد منـه تبكيت وتسـجيل الشـناعة عليهم، "أي: علة، أخرجت القلب عن صحته وأزالت حاسته، فصار بمنزلة المـريض، الذي يعرض عما ينفعه، ويقبل على ما يضره"، (السعدي، 1420ه،1/571).

مناسبة الفاصلة لموضوع الآية:

لما كانت الآيات تتحدث عن المنافقين وإعراضهم عن حكم الله تعالى ورسوله، وذلك بسبب مرض قلوبهم بالشهوة واتباع الهوى، والـريب والشـك واتهام حكم الله تعالى ورسوله بالجور والظلم، فهم بهذه الأعمال هم الذين

بلغوا الغاية في الظلم، (ابن كثير،1420ه، 6/74)، ناسب أن تـأتي الفاصـلة مؤكدة وصفهم بالظلم بكون الجملة جملة اسمية معرّفة الطـرفين وبضـمير الفصل: ﴿هُمُ﴾، ﴿بَـلْ أُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، وناسـب أن تكـون الفاصـلة مبينـة للحكم الإلهي الصادر فيهم، وهو أنهم هم الظالمون. فالظلم لا يأتي من جهة الله ورسوله؛ بل هم الظالمون لأنفسهم ولغيرهم.

يقول الطاهر بن عاشور: " وجملـة: ﴿أُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، مسـتأنفة استئنافًا بيانيًا؛ لأن السامع بعـد أن طنت بأذنـه تلـك الاسـتفهامات الثلاثـة ثم أعقبت بحرف الإضراب يترقب ماذا سيُرسي عليه تحقيق حالهم فكان قوله: ﴿أُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، بيانـاً لمـا يترقبـه السـامع"، (ابن عاشـور، 1997م، 18/272).

المطلب الثاني: المؤمن الكامل الإيمان يُذعن لأمر الله تعالى.

قال تعالى: ﴿إِنَّما كانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُـولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنا وَأَطَعْنا وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(51)﴾.

المعنى الإجمالي:

تحدثت هذه الآيات عن المؤمنين؛ فينبغي أن يكون قـول المؤمـنين إذا دعاهم الداعون إلى حكم اللـه تعـالى فيمـا بينهم وبين خصـومهم أن يقولـوا سمعنا وأطعنا، ثم تحدث الله تعالى على أن كل طاعة للـه ورسـوله موجبـة للفـــوز فقـــال: ﴿وَمَنْ يُطِـــعِ اللَّهَ وَرَسُـــولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْـــهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْفـائِزُونَ﴾، ثم تحـدث عن أكـاذيب المنـافقين فقـال: ﴿وَأَقْسَـمُوا بِاللَّهِ جَهْـدَ أَيْمـانِهِمْ لَئِنْ أَمَـرْتَهُمْ لَيَخْـرُجُنَّ ...الآيـة﴾، أي للجهـاد والغـزو، فمـتى أمـرهم الرسول-ρ- بالخروج معه لخرجـوا سـراعًا تلبيـة لـه، ثم ردّ عليهم بالسـخرية فقال: ﴿قُلْ لَا تُقْسِمُوا طاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ ... الآية﴾، فإنّ طاعتكم معروف أمرها، ومفروغ منها، طاعة باللسان دون الجنان، وبالأقوال دون الأعمال.

ثم بـأمر الرسـول-ρ- أن يرشـدهم إلى الطاعـة الصـادقة فقـال: ﴿قُـلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ... الآيـة﴾، وإن تولـوا عن الـدعوة فقـد عرضـتم أنفسكم للهلاك، وإن تطيعوه تهتدوا، وخرتم من الضـلال إلى الهـدى، فقـال: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا... الآية﴾، (يُنظر: المـراغي واخـرون، 1365ه، 18/124-125).

مناسبة الفاصلة لموضوع الآية:

لما كانت الآية تتحدث عن المؤمنين الصادقين، وأن من صفاتهم إذا ما دعوا إلى حكم شريعة اللـه تعـالى الـتي أوحاهـا إلى رسـوله-ρ- وأن يقولـوا عنـدما يـدعون لـذلك سـمعنا وأطعنـا بـدون تـردد ولا تبـاطؤ، وعنـدما كـانوا مستقيمين على منهج واحد، لا عوج فيه ولا التواء، ناسب أن تنتهي الفاصـلة بهـــذا الوصـــف وهـــذا الحكم الإلهي في حقهم، حيث قـــال: ﴿وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُـــونَ﴾، لأنهم مســـتقيمون، (يُنظـــر: طنطـــاوي واخـــرون ، 1978م،

10/144)، فالعلاقة واضحة بين الفاصلة وموضوع الآية. ثم قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾، وضع الله سبحانه وتعالى في هذه الآية شرطًا للفوز؛ وهو طاعته ونيل رضاه وخشيته، يقول وهبة الزحيلي: "ومن يطع الله ورسوله فيما أمراه به، وترك ما نهياه عنه، وخاف الله فيما مضى من ذنوبه، واتقاه فيما يستقبل من أيامه، فأولئك هم الذين فازوا بكل خير، وأمنوا من كل شرٍفي الدنيا والآخرة"، (الزحيلي، 1430ه، 18/616).

فمن أخذ بالأسباب من طاعة الله ورسوله-ρ- وخشية لله تعالى يكون ذلك سببًا في الفوز، مناسب أن تنتهي الآية بهذا التذييل وهو قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾، فالمناسبة واضحة بين موضوع الآية والفاصلة القرآنية.

المبحث الثامن: أحكام المخالطة والمعاشرة، والأخذ بالأسباب الوقائية، لغرس الأخلاق الفاضلة:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ... كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.(النور:58_60).

سبب النزول:

قال الواحدي: "قال ابن عباس: وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلامًا من الأنصار يُقال له مدلج بن عمرو إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقت الظهيرة ليدعوه، فدخل فرأى عمر بحالة كره رؤيته ذلك، فقال يا رسول الله وددت لو أن الله تعالى أمرنا ونهانا في حال الاستئذان، فأنزل الله تعالى هذه الآية"، (الواحدي: 1424ه، ص: 253).

المعنى الإجمالي:

يؤدب الله تعالى عباده المؤمنين بأدب الاستئذان، وبأمرهم بأن يؤدبوا عبيدهم الذين يملكونهم بملك اليمين، وكذلك الأطفال الذين لم يبلغوا مبلغ الرجال، فلا يدخلوا عليهم هذه الأوقات الثلاثة؛ وقت الفجر ووقت الظهر ووقت العشاء، إلا بإذن منكم؛ لأن هذه الأوقات غالبًا يكون فيها الإنسان يكره أن يراه فيها أحد، فأمر العبيد والإماء والأطفال ألا يدخلوا إلا بعد الاستئذان، وأما في غير هذه الأوقات فلا إثم ولا حرج عليكم.

مناسبة الفاصلة لموضوع الآية:

لما كانت الآية تتحدث عن أمر الله تعالى للمؤمنين بأن يأمروا الذين ملكت أيمانهم من العبيد والإماء، والذين لم يبلغوا سن الحلم من الأطفال بالاستئذان عليهم في هذه الأوقات، ناسب أن تنتهي الآية بهذا التذييل: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، فهو عليمٌ: لأنه مطلع على أحوال عباده عليمٌ بمصالحهم ومفاسدهم، وحكيمٌ في ضبطها وحفظها بحيث لا يختل أمر النظام المتعارف عليه، (يُنظر: النخجواني، 1419ه، 2/17)، فالله عليمٌ بكل ما يصلح الخلافة في الأرض، حكيمٌ في تشريعاته وأوامره، لا يضع الحكم إلا بحكمة، (الشعراوي، ص:6368).

قال تعالى: ﴿وَإِذا بَلَغَ الْأَطْفالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

المعنى الإجمالي:

تحدّث الله-Y- عن الأطفال إذا بلغوا سن التكليف، فأمر بأن يستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم في الآيات السابقة، وهذا علاج لبعض البيوت غير المحافظة التي ترى أن الطفل وإن شبّ وترعرع فلا مانع من الاختلاط لأنه كان صغيرًا، فهذه الآيات تمنع تلك العادة، (الحجازي،1413ه، 2/299).

مناسبة الفاصلة لموضوع الآية:

لما كانت الآية تتحدث عن الأطفال الذين بلغوا سن نزول المني وهي إمارات الميل والشهوات سواء كانوا ذكورًا أو إناثًا، حثهم على الإستئذان في كل الأوقات؛ ناسب أ تنتهي الآية بقوله تعالى: ﴿كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، أي كهذا البيان في ذكر ما هو لائق وما تكون عليه الأسرة، يبين الله تعالى الآيات المتلوة ويوضحها لكم لتقوم الأسر على دعائم من الطهر، والمودة والرحمة، والله تعالى عليم بأحوالكم ظاهرها وباطنها، وحكيم فيما شرع ويأمر، فهو يبين لكم الأحكام، وما يليق بكل حال، (أبو زهرة، 10/5227)، فيشرع لكم ما فيه صلاح أمركم معاشًا ومعادًا ... فينزل الله لكم آياته واضحة الدلالة على الأحكام، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بأمور خلقه حَكِيمٌ﴾ فيما دبره لهم، (الجاوي، 1417ه، 2/121).

قال تعالى: ﴿وَالْقَواعِدُ مِنَ النِّساءِ اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُناحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

المعنى الإجمالي:

هذه الآية تحدّثتْ عن النساء العجائز، اللاتي ليس لهن رغبة في الزواج، فلا إثم عليهنّ ولا حرج أن يخففن في ملابسهنّ، إذا لم يقصدنَ إظهار ما عليهنّ من الزينة، ولم يكن فيهنّ جمال ظاهر، ومع هذا كله يقول الله تعالى: ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ ...الآية﴾، أي أن التعفف والاحتياط خير وأفضل لهنّ، (الزحيلي، 1430ه، 18/639)، وقوله: ﴿يَضَعْنَ ثِيابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجاتٍ بِزِينَةٍ...الآية﴾، أي: الثياب التي إذا وضعنها لم تظهر زينتهنّ، وهذا يعنى أن هناك ثياب فوق الثياب مثل رداء فوق الجلباب، ومع ذلك قال جلّ شأنه: ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ ...الآية﴾، فالإسلام حريصٌ على التستر.

مناسبة الفاصلة لموضوع الآية:

عندما كانت الآية تتحدث عن الرخصة التي أعطاها للنساء اللاتي اِنقطع حيضهنّ وأدركهنّ الكبر، حذّر من التوسع في هذه الرخصة وقال سبحانه: ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجاتٍ بِزِينَةٍ...الآية﴾، فتضع الزينة وتتبرج، ناسب أن تنتهي

هذه الآية بقوله: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، أي يسمع مقالهنّ مع الأجانب، ويعلم مقاصدهنّ من الاختلاط ووضع الثياب، فلا يخفى مدى العلاقة بين الفاصلة وموضوع الآية، وكذلك في من الترهيب ما لا يخفى، (القاسمي، 1418ه، 7/407).

المبحث التاسع: التعاون أساس المحبة، والتحلي بالأدب مع النبي عليه السلام.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعاون الأسري، وإباحة الأكل من بيوت معينة:

قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ ... كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، (النور،: 61).

المعنى الإجمالي:

تحدثت الآية في أمر يتعلق بنظام الحياة في الأسرة، فليس على الأصناف المذكورة في الآية حرج أن يأكلوا مع غيرهم من الأصحاء، وليس عليهم حرج أن يأكلوا من بيوت غيرهم حيث أباحوا لهم ذلك في غيبتهم، وذكرت الآية إباحة الأكل من أحد عشر موضعًا بل إذن حيث نعلم أنه لا يتألم، ولا تشح نفسه لذلك، وهذا توسعة على الناس، وبيان لما تقتضيه أواصر الصلات والمحبة بين الأفراد، (الحجازي، 1413ه، 2/701).

مناسبة الفاصلة لموضوع الآية:

لما كانت الآية تتحدث عن التعاون في الأسرة، بحيث تكون القرابة والمودة هي الرابطة بين الناس، وتقوية أواصر المحبة والألفة بينهم، ناسب أن تنتهي هذه الآية بقوله: ﴿كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، أي على هذا النحو من البيان الرائع والأدب العالي، والتوجيه السليم جرت عادة القرآن الكريم أن يبين الله تعالى آياته فيه، فتملأ قلوبنا حكمة، ونفوسنا رحمة، وحياتنا تنظيمًا، وكل هذا لعلكم تعقلون فيزداد تمكنكم بها، ويكثر شكركم من أجلها، (الحجازي، 1413ه، 2/701).

المطلب الثاني: الآداب التي يجب أن يتحلى بها الجماعة مع الرسول-ρ-، والتحذير من مخالفة أمره.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ... وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(النور: 62).

المعنى العام:

يخبرنا الله تعالى في هذه الآيات أنه يجب على المؤمنين أن يتحلوا بآداب مع نبيهم الكريم-ρ- فإذا كان المؤمنون مع الرسول-ρ- في أمر جامع –أي ضروري- أمرهم بالاستئذان حين الخروج من الاجتماع معه، والذي يفعل ذلك فهو مؤمن حقًا، ثم أمر رسوله أن يأذن لمن يشاء منهم إذا استأذنه، وأمر المؤمنين أن يبجلوا رسولهم ولا يسموه باسمه؛ بل يقولون يا نبي الله،

ويا رسول الله، وليحذروا أن يخالفوا أمره وسننه وشريعته، (حوى، 1424ه، 7/3823).

مناسبة الفاصلة لموضوع الآية:

لما تحدّث الله-Y- عن الأدب الرفيع الذي يجب أن يتأدب به المؤمنون وهو عدم الانصراف من مجلس النبي-ρ- إلا بع استئذانه، وهذا أدب استحق المؤمنين معه الاستغفار بما قد صدر عنهم من زلات وهفوات، ناسب أن تنتهي الآية بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، غفورٌ يغفر الذنوب جميعًا مع التوبة النصوح، فهو يقبل من عباده التوبة، وهو رحيمٌ، والرحمة صفة من صفات الله تعالى، رحيم بغفرانه لما يجترحون من سيئات، (أبو زهرة، 10/5236).

قال تعالى: ﴿أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، (سورة النور: الآية: 64).

المعنى الإجمالي:

يخبر الله تعالى في نهاية السورة أن الله تعالى مالك السماوات والأرض، وإنه عالم بما يعمل العباد، ويوم يرجع الخلائق إلى ربهم حين العرض والحساب يخبرهم بما فعلوا في الدنيا من جليل وحقير، وكبير وصغير، (يُنظر: المراغي، 1365ه، 18/142).

مناسبة الفاصلة لموضوع الآية:

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور في نهاية السورة: أن هذا تذييل لما تقدم في هذه السورة كلها، والافتتاح بحرف التنبيه "ألا" إيذان بانتهاء الكلام، وتنبيه الناس ليعوا ما يرد بعد حرف التنبيه، وهو أن الله تعالى مالك ما في السماوات والأرض، فهو يجازي عباده بما يستحقون، وهو عالم بما يقولون، (ابن عاشور، 1997م، 18/312).

فخاتمة السورة عجيب جدًا،﴿ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِما ... الآية﴾، فجو السورة بشكل عام تتحدّث عن مسائل الشرف والنظر والعورات والكلام والقذف، فذكرنا مرة أخرى أن كل شيء تقوله مكتوب وثابت في علم الله تعالى، وسننبأ به على وجهه، وكفى بنا حاسبين، ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وهكذا عشنا مع السورة ورأينا مدى ارتباط فواصل الآيات بموضوعها في جميع السورة، وهذا يدل دلالة قطعية أن القرآن الكريم كله في نسق واحد، وأنه من لدن حكيم خبير.

الخاتمة:

الحمد لله الذي علّمنا الحمد، وعلّمنا كيف نحمدهُ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فقد يسّر الله تعالى وأعان على الوصول إلى خاتمة بحثي هذا، وهذا ليس إلا من توفيقه وتيسيره، وقد قمتُ في هذا البحث بدراسة موضوع مهم يتعلق بالقرآن الكريم من ناحية إعجازه البياني، فاخترتُ موضوعًا يتعلق بهذا الجانب وهو: "المناسبة بين الفاصلة القرآنية

وآياتها دراسة تطبيقية على سورة النور"، وها أنا ذا أُشِكُ أن أضع قلمي بعـد جهد المقل، ورحلة على ضعف.

ومما يُسطّر في نهاية هذا البحث أمور أهمها:

1- أن آيات سورة النور مترابطة بعضها بعضًـا، من أولهـا إلى آخرهـا، مثلهـا مثل أي سورة أخرى في القرآن الكريم.

2- أن الفاصلة القرآنية هي الجملة الأخيرة من الآية مبنية عل الوقف.

3- أن استنباط المناسبة من التدبر المأمور به، ويُشترط لقبوله مـا يُشـترط لقبول التفسير.

4- ينبغي للباحث في التناسب أن يبتعدَ عن التكلف، أو الجزم بأن مـا يصـل إليه هو مُراد الله تعالى.

5- سورة النـور من السـور المدنيـة الـتي اهتمت ببنـاء المجتمـع الإسـلامي داخلياً بناءً محكمًا.

واللهَ أسأل أن يسد خَلَلِي، ويُتمُ عليَّ نعمتَهُ، ويجعل هذا البحث خالصاً لوجهِه الكريم، وينفع به، وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمينَ.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن القيم، محمد بن أبي بكر. 1427هـ، بدائع التفسير، ط1، دار ابن الجوزي.
2. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. 1404هـ- 1984م، مجموع الفتاوى تح: محمـد السـيد الجليند، ط2، مؤسسة الرسالة، دمشق-لبنان.
3. ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير، 1484ه، الدار التونسية-تونس.
4. ابن عطية، عبد الحق بن غالب. 1413هـ- 1993م، المحرر الوجيز في تفسير الكتـاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
5. ابن كثير، إسماعيل بن كثير القرشي. 1422هـ - 2002م، تح: حامد أحمـد الطـاهر،ط 1، دار الفجر للتراث-القاهرة.
6. ابن منظور، محمد بن مكرم. 1300ه. لسان العرب، ط1. دار صادر، بيروت- لبنان.
7. أبو حيان، محمد بن يوسف. 1422هـ- 2009م، البحر المحيـط، تح: عـادل أحمـد عبـد الموجود وأخرون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
8. أبو زهرة، محمد بن أحمد. زهرة التفاسير، دار الفكر العربي.
9. الألوسـي، محمـود بن عبـد اللـه. 1415ه، روح المعـاني في تفسـير القـرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
10. البقـاعي، إبـراهيم بن عمر. 1424هــ -2002م، نظم الـدرر في تناسـب الآيـات والسور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
11. الجاوي، محمد بن عمر. 1417هـ، مراح لبيـد لكشـف معـنى القـرآن المجيـد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
12. الحجازي، محمـد محمـود. 1413هــ، التفسـير الواضح، ط10، دار الجيـل، بـيروت-لبنان.
13. حوى، سعيد حوى، 1424ه، الأساس في التفسير، ط6، دار السّلام القاهرة.
14. الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي. 1399هـ-1979م، لبـاب التأويـل في معاني التنزيل، دار الفكر، بيروت-لبنان.

15. الذبياني، زياد بن عمرو. 1976م، ديوان النابغة الذبياني، تح: محمد الطاهر بن عاشور، الشركة الوطنية-الجزائر.
16. الذهبي، محمد بن أحمد. 1407هـ-1987، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان.
17. الرازي، محمد بن عمر. 1401ه-1981م، مفاتيح الغيب، ط1، دار الفكر، بيروت-لبنان.
18. الرماني، علي بن عيسى. 1976م، النكت في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله، ط1. دار المعارف-مصر.
19. الزحيلي، وهبة بن مصطفى. 1430ه-2009م، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط10، دار الفكر، دمشق-سوريا.
20. الزمخشري، محمود بن عمر. 1418هـ-1998م، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض، ط 1، مكتبة العبيكان، الرياض-السعودية.
21. السّامرائي، فاضل صالح. 1437ه-2016م، التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم، ط1، دار ابن كثير، بيروت-لبنان.
22. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. 1420هـ-2000م، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1، مؤسسة الرسالة، الأردن.
23. السمرقندي، نصر بن محمد. بحر العلوم، تح: محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت-لبنان.
24. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. 1416ه-1996م، الإتقان في علوم القرآن، تح: سعيد المندوب، دار الفكر، بيروت-لبنان.
25. الشعراوي، محمد متولي. 1991م، تفسير الشعراوي، مطابع دار أخبار اليوم، مصر.
26. الصّابوني، محمد علي. 1401هـ-1981م، روائع البيان تفسير آيات الأحكام، ط3، مكتبة الغزالي، بيروت-لبنان.
27. صافي، محمود بن عبد الرحيم، 1416هـ-1995م، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، ط3، دار الرشيد، دمشق-سوريا.
28. طنطاوي، محمد سيّد. 1997م، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط1، دار نهضة مصر-القاهرة.
29. الطِّيبِي، الحسين بن عبد الله، 1434هـ- 2013م، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، ط1، دار المكتبة الوطنية- الأردني.
30. العسقلاني، أحمد بن حجر. 1379هـ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تح: عبد العزيز عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت-لبنان.
31. الفيروز آباي، محمد بن يعقوب. 1426ه-2005م، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط8. مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان.
32. القاسمي، محمد جمال الدين. 1418هـ، محاسن التأويل، ط1، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

33. القرطبي، محمد بن أبي بكر. 1384هـ-1964م، الجامع لأحكام القـرآن، تح: أحمـد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2،: دار الكتب- المصرية.
34. القطان، مناع خليـل. 1418ه-1998م، مبـاحث في علـو القـرآن، ط35. مؤسسـة الرسالة، بيروت-لبنان.
35. قطب، سـيّد إبـراهيم حسـين الشـاربي. 1412ه، في ظلال القـرآن، ط17، دار الشروق، بيروت-لبنان.
36. القنـوجي، صـديق بن حسن. 1412هـ-1992م، فتح البيـان في مقاصـد القـرآن، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت.
37. اللاحم، سـليمان بن إبـراهيم. 1426ه-2005م، انشـراح الصـدور في تـدبر سـورة النور، الرياض-السعودية.
38. لجنة من العلماء، بإشـراف: مجمـع البحـوث الإسـلامية. التفسـير الوسـيط للقـرآن الكريم، : الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية-مصر.
39. المـراغي، أحمـد مصـطفى. تفسـير المـراغي، 1365ه-1946، مصـطفى البـابي الحلبي-مصر.
40. المَرْغِيناني، علي بن أبي بكر. الهداية في شرح بدايـة المبتـدي، تح: طلال يوسـف، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان.
41. النخجواني، نعمـة اللـه بن محمـود. 1419هـ-ـ1999م، الفـواتح الإلهيـة والمفـاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، ط1، دار ركابي-مصر.
42. الهَرَرِيّ، محمد الأمين بن عبد الله. 1421هـ-2001م، حدائق الـروح والريحـان في روابي من علوم القرآن، ط1، دار طوق النجاة، بيروت-لبنان.
43. الواحدي، علي بن أحمد. 1424هـ-2003م، أسباب النزول، تح: أيمن صالح شعبان، دار الحديث-القاهرة.